حسين مردان

يا قطـار الشمال
يا قطار الجنـوب
يا قطارا صدئت بلون المحطة ،
نمـت ،
استرحت أمام البيوت
هل تريد أسمه
كان يكره بغداد ،
لكنه حين يستودع الله فيها ، يموت
علمته الشوارع كيف يباغت ضوءا،
ويأسره،
كيف ينشد حجته ، في الحـراب
الموشاة ،
فيما تدلى من الموت ،
.. علمـه الفقـراء المباحون
والمستريحون في النفي
حزنا قديما ،
وحزنا جديداً ،
وحزنا تجاوزه بين مقهى الرصافـة
والبيت
ـ هل اطرق اليوم
ـكان يطرق ابوابنا كل يوم .
وشربت العشية خمرتها ،
وتبولت بين الرصافة والبيت ،
علمني النرجس العذب ان الحيـاة
توابع ،
والاصل في الميت ،
لكنه حين يلجأ للماء، نرجسة من رماد
يلاشيه وجه غريب
ووجه يوزع دائرة ، دائرة
ايها النرجس العذب ،
عاشرت بوابة الفقراء المباحيـن ،
ما جاورتني
وتكالبت ، حتى استبحت،
وما جاورتني
وخبرت الذي بين ملح الرصافـة
والارصفة
والذي بين وجهي والارغفة ،
... فما جاورتني
ـ وحده كان يعرف
ـ ... لكنه الحزن ..
هاهو البيت
« عـذراء» تولد ،
والشرفة المترفـة
تستضيء بك الان ،
هل تلتجيء ؟
والنوافذ مطفأة ،
ان سرا مباحا تدلى
وخطوك ماغادر العشق ..
يا سيد الفقراء
وياسيد الحزن انت ،
اتكيء
لم تحارب وكان غبار الطواحيـن
في شفتيك
ولم تختبر عاقرا تستميلك عنـد
الظهيرة ،
قلت اتكيء ،
انه زمن ، همه ان يقلدك الشـارة
المستحيلة ودما ساخطا ،
عاثـرا ،
بين ظل الاله عليك وظل الرذيله .
ـ هل تريد اسمه ؟

اسمه صورة في الهوية
لم تغادر حدودا
ويكـذب
لكنه حين يكذب لا يستر الكذب عريه
ساهرا ،
ماجنـا ،
دون ليل ومجن ، وكفاه في الخاصرة
سيدان من التعب الملكي .
كان يعشق كل النساء
ولكنه يستريح بعينين في الذاكرة.
يا قطار الشمال
يا قطار الجنوب
يا قطارا تجاوزني والحقائب ، فـي
الليلة الماطره
يا قطار الغرابة ما استودعتـك
المحطة رهنا ،
وما جاوز النخل وجهي ،
يا قطار المحبين ، لي وحشتي .
والحقيبة ،
يا قطار الطفولة ...
في ظلمة الساعة العاشرة
يا قطار الطفولة ...
قلت اتكيء ،

انت بين الرهينة والفتك سعر زهيد
وبين الطفولة والموت وجه جديد
يمـوت ،
ويستبدل اللعبة الخاسرة ،
حين يبلو الصباح وحيدا ،
حين يبلو الظهيرة .
حين يبلو المساء وحيدا ،
بموت جديد .
ـ هل تريد اسمه ؟
اسمه في الهوية « حسين مردان»
واسمه في الازقة « حسين مردان»
واسمه في المقاهي « الاله »
واسمه حين يعتزل الناس « آه »

١ ـ
وكانت شوارع بغداد تمتد . شمس
تذوب على حافة السور ، والسـور
يمتد . والنخل ما كان نخلا وصار
يحركه عاشق في الرصافة، والنخل
يمتد . يا صاحبي أفيقا على وجـع
قام بين الرصافة والجسر ، والجسر
يمتد ..
وخطوك ما حلّ في الجسر
ما جـاوز الجسر ،
كنت وحيدا
وكنت على الجسر واقف .
وذات اليمين وذات الشمال النسـاء
يمتن ويحيين ظلك
وخطوك ما حل في الجسر
ما جـاوز الجسر
كنت وحيدا
وكنت على الجسر واقف .

وحدقت في الماء
ظلك نرجسه من رماد
يلاشيه وجه غريب
ووجه يوزع دائرة .. دائرة .
٢ ـ
ياضريح الفرات الجميل
وطني غادر
فمتى ازددت حبا ، يكن أجملا
والذي ظل بين عيوني وبين النخيل
وجهه مهملا ،
صار مشنقتي ،
يا ضريح الفرات الجميل .
من رأى المستحيل
في البلاد التي غدرت ،
غادرت باب بيتي
من رأى في الضفاف الوسيعة اوجهها
في الضفاف الوسيعة
لم يمت مثل موتي
انها وقع صوتي في الخطوات
السريعة
وهي الضائعون ،

٣ ـ
ياحسين مردان
كيف تركت الباب مفتوحا
والليل لم يبدأ ، وكان السر مفضوحا
وأنت قد تجهل ان الخمر في الندمان
ما زال يستحلف كل ظلمة
في ساحة الميدان
ان تستريح الان ،
وأن يظل القلب مجروحا .

بغـداد — فوزي كريم